الحركة الوطنية الجزائرية النشأة – التطور – الآثار(*)

أ.د/ صالح فركوس
قسم التاريخ جامعة 08 ماي 1945 قالمة

قليلة هي الدراسات التاريخية التي تناولت الحركة الوطنية من حيث النشأة والتطور والآثار بطريقة تمكن الطالب والقارئ والباحث من الإلمام بالموضوع باختصار وبمنهجية علمية تؤسس وتوثق وتؤصّل لمسيرة تلك الحركة إلى غاية اندلاع الثورة الجزائرية. وإن كنّا لا ندّعي أنّنا قد سبقنا إلى هذا الموضوع، بل هناك من سبقنا في البحث والتنقيب فيه، إلا أننا نعتقد أننا حاولنا طرح الموضوع من خلال وثائق وبإشكالية جديدة تتقصى كيف نشأت تلك الحركة ثم كيف تطورت وكيف كانت آثارها ونهايتها ؟

أولا : النشـأة

الحقيقة التاريخية أن الحركة الوطنية الجزائرية لم تنشأ من فراغ، بل تستمد جذورها من بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830م، حيث انطلقت تلك الحركة في اتجاهين : اتجاه سياسي واتجاه ثوري، تباينت من خلالهما أفكار ومبادئ وأهداف شخصياتها التاريخية، إلى حد القول أن مفهوم الحركة الوطنية بات البحث فيه أعمق من نشأتها. لذا سنحاول تتبع هذه الدراسة من بدايتها إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية 1954 من خلال طرح إشكالات وتساؤلات لفهم وإدراك مسيرة تلك الحركة، مع استخلاص نتائج وآثار ذات أبعاد عميقة على مختلف المستويات الداخلية والخارجية.

إذن، كيف انطلقت أو كيف بدأت نشأة فكرة الوطنية قبل أن تكون حركة ؟

الأمير عبد القادر الجزائري ونشأة فكرة الوطنية :

تكاد أن تجمع المصادر التاريخية التي تناولت سيرة الأمير عبد القادر الجزائري على أنه أول من طرح ونادى بفكرة الوطنية و "القومية العربية".

يقول أ.ف.دينيزن الدانماركي الذي عاصر الأمير وعرفه خلال إقامته كما قال : "في شمال إفريقيا عام 1937، لاحظت باهتمام كبير، كيف أخذت وطنية القبائل العربية، بعد غفوة استمرت عدة قرون، تستيقظ من جديد، وإني لأشعر فيما يتصل بهذا الموضوع بإعجاب كبير بشخصية الرجل (الأمير عبد القادر) الذي استطاع أن يوقظ الحس الوطني في شعب ... تعوّد على الاستقلال والحرية ..."[1]

(*): محاضرة ألقيت علة طلبة الماستر والدكتوراه بقسم التاريخ جامعة تلمسان يوم 17 أبريل 2017.

[1] أ.ف.دينيزن : الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر، ترجمة وتقديم : أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 1999، ص 11-12.

وتتفق معظم روايات القادة الفرنسيين الذين عرفوا الأمير أنه كان يسعى إلى بعث الروح الوطنية في الأمة الجزائرية وتحريض الناس على الجهاد بخطاب تتردّد فيه هذه الكلمات : دينكم، بلادكم، أرضكم، نساؤكم، ... لقد تجاوز خطابه بني فلان، وبني فلان، إلى الشعب، إلى المواطنين حيثما كانوا ومهما كان انتماؤهم... وربما لم تعرف الجزائر قائدا من أبنائها استعمل هذا الخطاب من قبل[1].

يقول تشرشل : "تقدم عبد القادر إلى بني وطنه بفكرة بسيطة وعظيمة في نفس الوقت، وهي فكرة قومية عربية ..."[2]. فوقف بذلك موقفا شديد المعارضة للحكم التركي الذي حمّله مغبّة ما حلّ بالجزائر من ويلات الاحتلال. كما اتّخذ نفس الموقف ضدّ الحاج أحمد باي الذي نصب نفسه "الوارث الشرعي" لهذا الحكم الذي سقط، فاعتبره الأمير امتدادا للفكر العثماني التركي، وبالتالي ظلّ الرجلان، بالرغم من جهادهما للعدو المشترك، وبالرغم كذلك من دعوة الأمير له للوحدة، فإن هذا الأخير –أي الحاج أحمد باي- لم يعترف به، وظل يعتبره عدوا له[3].

ومهما يكن فقد جاهد الأمير المحتل بالسيف والكلمة والقلم، وحرّضت نداءاته للجهاد كثيرا من القبائل، فكانت ثورته ذات أبعاد وطنية، تجاوزت الحدود الإقليمية والقبلية لتصبح شعلة واحدة تؤجج روح الوطنية وتدفع للتضحية بالنفس والمال والأولاد وكل الأملاك من أجل تحرير البلاد، فتجاوبت مع الأمير مشاعر كثيرة متأججة بالإيمان حبّا في الأرض وفي الوطن وفي دولة الأمير.

حمدان خوجة وفكرة الوطنية :

يعتبر حمدان خوجة أول من استعمل عبارة "الجزائر للجزائريّين" –حسب جورج إيفار- مؤكدا بأنّ ذلك المفهوم هو الإطار ا لشرعي الذي يمكن أن تجد فيه فرنسا أحسن وسيلة تساعدها على الانسحاب من الإيالة بكل شرف[4]. ولكن حمدان خوجة الذي نادى بضرورة

---

[1] شارل هنري تشرشل : حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم وتحقيق : أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004، مقدمة المترجم، ص 9.

[2] المصدر نفسه، مقدمة المترجم، ص 9-10.

[3] فركوس صالح : الحاج أحمد باي قسنطينة (1826-1850)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1993، ص 68-69.

انظر كذلك : تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للاحتلال الفرنسي، المقاومة المسلحة (1830-1962)، دار العلوم للنشر، الحجار، الجزائر، 2012، ص 35-41.

[4] جورج إيفار : حمدان خوجة، المجلة الإفريقية، 1913، ص 124.

استقلال الجزائر، فإنه كان مع ذلك يرى أن السلطان العثماني هو صاحب الأمر والنهي بالنسبة لجميع البلدان الإسلامية[1].

لقد صرخ حمدان خوجة بأعلى صوته معارضا المحتل ومنكرا عليه جرائمه قائلا : "يجب على الفرنسيين أن يلاحظوا بأن أي رجل يحب بلاده حبّا صادقا لا يستطيع أن يكتب بأعصاب هادئة دون أن يتوقف عند كل حادث يمثل له إبادة مواطنيه، أو تقتيلهم، أو تدنيس مدافن أجداده ... هذا وما أنا إلا صدى للأحداث ولسان لأبناء وطني"[2].

وفي موضع آخر يصيح في وجه المحتل المغتصب، قائلا : "إنكم تعطون الملايين لليونانيين والبولونيين، وتنجدون تلك الشعوب بأموال الجزائريين ... فلماذا لا تخرج فرنسا المتحررة من الجزائر وتترك إدارتها لأبنائها، فتكون بذلك قد مهّدت الطريق لسائر الشعوب التي تكافح من أجل تقرير مصيرها..."[3].

ثم يترجم لنا ضعف قوته على محاربة المحتل وحزن قلبه الشديد وبكاءه الطويل على حال أمته، قائلا : "إنني مكسور القلب من جراء الأخبار التي تصلني يوميا من الجزائر، والتي تقول أن الدماء تراق وديانا، وأن السخط عام، وأن بلدي يسير نحو الخراب"[4].

ويطرح خطورة مسألة الجزائر، قائلا : "إن مسألة الجزائر مسألة خطيرة لأنها تخص حياة أمة بأجمعها تتكون من عشرة ملايين نسمة، وهي الآن، من سوء الحظ، في نقصان يتزايد من يوم لآخر بسبب الحرب، والبلاد يقودها الظلم والطغيان منذ ثلاث سنوات ... إنني لست مرتاح البال، بل على العكس، فإن مصائب بلدي تقلقني باستمرار. ولقد كنت في كثير من الأحيان، وأنا أسجل تلك المصائب، أجبر على التوقف من الكتابة لأترك المجال لدموعي تنساب ..."[5]

ويذكر حمدان خوجة المصائب التي تعرضت لها أمة الجزائر، قائلا : "وبسرد الشرور التي تعرض لها أبناء وطني، فإنني أريد كذلك أن أرفع من معنويات بعض المساكين، ومن الصعب جدا أن أجد في مسألة الجزائر جانبا إيجابيا، بالنسبة للأهالي ... فمصالحهم مجهولة، وآمالهم مغيبة، ولا شفقة ولا رحمة ولا عدالة، وبالتالي، فإنني أتساءل لماذا تزعزع بلادي في جميع

[1] صالح فركوس : تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفينيقي إلى غاية الاستقلال (814 ق.م – 1962)، الجزء الثالث، دار إيدكوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 54.

[2] حمدان بن عثمان خوجة : المرآة، باريس، 1833، تقديم وتعريب وتحقيق : محمد العربي الزبيري، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1975، ص 30.

[3] المصدر نفسه، ص 27-28.

[4] المصدر نفسه، ص 31.

[5] المصدر نفسه، ص 46-47.

أسسها وتصاب في جميع مبادئها الحيوية. وإلى جانب ذلك أنظر إلى الأوضاع التي توجد عليها دول أخرى ... أرى اليونان تساعد وتتكون على أساس متين بعد أن فصلت عن الإمبراطورية العثمانية، وأرى شعب بلجيكا يفصل عن هولندا ... وأرى جميع الشعوب الحرة تهتم بالبولنيين واسترجاع سيادتهم ... وعندما أدير البصر إلى بلاد الجزائر، فإنني أرى هؤلاء السكان المساكين يرزحون تحت نير الاستبداد معرضين للإبادة ولجميع آفات الحرب، وتلك المظالم كلها ترتكب باسم فرنسا الحرة"[1]. ولكن طالب الرحمة والإحسان من الاستعمار، بل من الاستكبار، كطالب النسل منن العقيم، غير أن حمدان خوجة يظل مصدرا من مصادر الدفاع عن الأرض والوطن متحديا طغيان الاستعمار الذي كمّم الألسن والأفواه، وزرع الموت والدمار في مختلف أنحاء البلاد.

ثورات القرن التاسع عشروفكرة الوطنية :

اختلفت أسباب ومنطلقات تلك الثورات، باستثناء ثورة الأمير عبد القادر التي كانت ذات أبعاد شمولية من حيث التأصيل الوطني والإسلامي ووضوح الرؤية والهدف. ويكفي تجربة دولته التي –بالرغم من قصر عمرها- استطاعت أن تجسد مبادئ الشخصية الجزائرية لأول مرة في تاريخ الجزائر السياسي.

لقد كان المحتل يخلط بين الدين و"التعصب"، وهو أمر كان مستساغا في التعبير الاستعماري –آنذاك- مما يكشف بوضوح عنصر "الوطنية والدفاع عن أرض الأجداد"، ويبين بجلاء أن الإسلام أو "الجهاد" ضد "الكافر" كان السبب القوي في اندلاع تلك الثورات التي كانت الزوايا والمساجد منطلقاتها، حيث كانت تشكل "أقطابا للمقاومة وخلايا للرفض ومراكز للثورات المسلحة"[2] ضد المحتل.

نشأة حركة الشبان الجزائريين الوطنية :

يقول ش.ر.أجيرون : "ساد ربوع الجزائر المسلمة صمت مطبق منذ سنة 1870، قبل أن تتعالى بعض الأصوات، بشكل منفرد في أول الأمر، ثم أخذت تزداد وضوحا في مطلع القرن العشرين منذرة بظهور نخبة جديدة من "المتطورين".

ويضيف قائلا : "إن هذا الظهور المفاجئ للنخبة المسلمة المتحضرة، والمتفرنسة إلى حد ما، لم تكن –في الحقيقة- إلا صدى للتقاليد الإسلامية الراسخة في أوساط المثقفين الجزائريين

[1] المصدر نفسه، ص 45-46.

[2] Claude Vatin : « Puissance d'Etat et Résistance islamique en Algérie », Paris, 1981, voir pp. 245-246.

... وسرعان ما أطلق الملاحظون تسميات شتى على هذه الحركة مثل : "الشبان الجزائريون" أو "أصحاب العمائم القديمة" أو "المحافظون والليبراليون"[1].

ويذكر "أجيرون" أن هناك تسرعا لدى الملاحظين في إبراز صراع بين جيلين وكأنه صدام بين نمطين من التفكير : "تقليدي وعصري". ويعلق على هؤلاء الملاحظين : "أن ذلك الخلاف لم يكن واضحا بصورة جلية، فكلا التيارين الفكريين كانا يتعارضان تارة ويتقاربان تارة أخرى، وكأنهما رجع الصدى لما سوف يسمى يقظة المسلمين الجزائريين"[2].

إذن، ما هما هذان الرأيان ؟

الرأي العام التقليدي : تمثله الأوساط التقليدية المثقفة في الحواضر، أو الأعيان في الريف. كان هؤلاء يعبرون بواسطة العرائض عن مواقفهم إزاء القضايا التي تمس طائفة الجزائريين المسلمين[3].

ومن المؤكد لدى تلك الأوساط أن شعورها الغالب هو ارتباطها الشديد بالإسلام : "إن أغلى أمنياتنا وأكثر حرصنا إنما هو التمسك بشريعتنا"، هذا القول ورد في عريضة أمضاها 170 من أعيان قسنطينة سنة 1895[4].

هذا الموضوع يقودنا إلى التساؤل التالي : لماذا ركز الأمير خالد على "الاحتفاظ بالأحوال الشخصية"؟

هذا يستنبط من الطرح الذي طرحه "أجيرون" وهو كما قال : "لقد أدرك الجميع، عن وعي أو غير وعي، أن الإسلام هو مصدر المقاومة ضد المسيحيين، ومن هنا فإن الضمير الشعبي ... كان يرفض أدنى مساس بقانون الأحوال الشخصية ..."[5]

إذن، ما هو الدافع الحقيقي لتلك الحركة، بل ما هي الدوافع لظهور تلك الحركة ؟

يمكن استخلاص الدوافع التالية :

1- دافع العقيدة :

يقول محفوظ قداش : "لقد تحركت الأوساط التقليدية والمثقفون والمنتخبون في نهاية القرن التاسع عشر في عرائض أو التماسات مرتبطة بقضايا تمس الدفاع عن الإسلام

---

[1] ش.ر.أجيرون : الجزائريون المسلمون وفرنسا، 1871-1919، ج2، نقله إلى العربية : م. حاج مسعود، أ. بكلي، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص 695.

[2] المرجع نفسه، ص 69.

[3] المرجع نفسه، ص 696.

[4] المرجع نفسه، ص 696.

[5] المرجع نفسه، ص 696.

والشريعة، والسرقات وأموال الحبوس وابتزاز "القياد". وكان ذلك زمن الشكاية أو التظلم، فالمغلوب لم يكن يجرؤ إلا على المطالبة بالكف عن التعسف الفاضح : الكف عن نزع الأراضي، وتغيير قانون العقار، وضرورة التخفيف من الضرائب، وإلغاء المحاكم الاستثنائية ... وقد عرف بن رحال، الذي كان أشهر المسلمين في ذلك الجيل، كيف يجد صيغا جديدة للدفاع عن الإسلام وطرح مشكلة مستقبل الجزائر والمغرب العربي كافة، الذي كان مصيره مرهونا –كما يقول- بالإسلام وبنهضته ..."[1]، فمن هو ابن رحال محمد ؟

ابن رحال محمد (1856-1928) من عائلة مرابطة من ندرومة، تابع دروسا في الإكمالية الإمبراطورية بالجزائر، أصبح قايدا في 1878، لكنه لم يخضع لاستعباد الوظيفة، وقد استقال في 1884 ليتفرغ للعلم ولنشاطاته السياسية، ونشر دراسات حول السودان في القرن 16، وبني سناسن، منطقة لالة مغنية ومقالات حول الإسلام ... طالب بتمثيل الأهالي في المجالس المنتخبة مخاطباالمحتل : "لن تحصلوا أبدا على الأهالي إلا بواسطة الأهلي، نحن نريد سيناتورا ونائبا أهليا يعينه الأهالي". أصبح عضوا في الجمعية الآسيوية وشارك في مؤتمراتها، وقد صرح قائلا : "الاندماج والدمج هي طوباوية غير قابلة للتحقيق"[2].

2- الفرار من الظروف السياسية والاجتماعية المستجدة :أي الهروب من النمط الحضاري الجديد المفروض على الجزائريين.

3- رفض التمدن الذي يقام على أنقاض القوانين والعادات الإسلامية، أو كما كان يعبر عنه بـ "تمدن عالم مادي وملحد ومولع بعبادة القوة والمال، إنه التحدي الحقيقي للإرادة الأهلية، ولم تعد الفضيلة فيه صنوا للشرف". كما يعلق على ذلك أجيرون مشيرا إلى ما جاء في قصيدة لشاعر مجهول : "إنّ ما كان جديرا بالاحترام ولّى وانتهى، وصار كل أمر شنيع محمودا وممجّدا ... وأضحت كلمة الشخص الحقير مسموعة ... وصارت الأعين ترنو بشغف إلى ذوي المال والجاه". وعقّب الشيخ بن عصمان على تلك القصيدة بقوله : "هكذا هو هذا العصر، إنه يهين كل من يقف شامخ الرأس، ويصير كل شائن معظما وينجح ثم يتبجّح ... لقد غربت الشمس وارتفع نقيق الضفادع ... ولقد تهاوى النظام الاجتماعي العتيق وتلاشت معه العادات الحسنة وزال الورع الحقيقي. وقال سي محند : ما فتئ عدد هؤلاء المارقين عن الدين في تزايد ..."[3].

---

[1] محفوظ قداش : تاريخ الحركة الوطنية، الجزائر، ج1، ترجمة أحمد بن البار، دار الأمة، الجزائر، 2008، ص 107.

[2] المرجع نفسه، ص 112.

[3] أجيرون، مرجع سابق، ص 697-698.

ويصور لنا أجيرون هذا المشهد محملا الفرنسيين مسؤولية هذه الآفات جميعها، لأنهم ينشرون الخلاعة ويمارسون الطغيان ... واستقدام الجنود السنغاليين إلى الجزائر إمعانا في تسليط المهانة عليهم لأنهم يعتبرون الزنوج من جنس الرقيق ... أضف إلى هذه الشكاوى سيل اللعنات، التي لا تنقطع، من طرف الأتقياء على الفرنسيين بسبب انحلالهم وإدمانهم على الخمر، وضد وقاحة النساء الفرنسيات وضد الحقوق الممنوحة لليهود والمكانة المخصصة للزنوج ..." وما إلى ذلك من الدوافع والمشاهد التي شهد شهود من أهلها على فظاعتها، الأمر الذي دفع الناس إلى الثورة ضد اليأس الذي يستبد بمن يكون شاهدا على انهيار حريته وعقيدته وثقافته"[1].

ما هي المطالب التي قدمها التقليديون إلى سلطات الاستعمار؟

تتضمن قائمة شاملة لمختلف العرائض المقدمة لرئيس الجمهورية (Toubet) في أفريل 1903[2].

1- التخلي عن نزع الملكية.

2- فتح مجال الغابات

3- التخلي عن مبدأ العقوبات الجماعية

4- التخفيف من وطأة الضرائب

5- إلغاء المحاكم الخاصة

ومن أبرز المطالب : مطلب يتعلق بجعل اللغة العربية في نفس المرتبة مع اللغة الفرنسية.

والسؤال الذي يطرح : هل شكلت هذه المطالب أرضية لمطالب الحركة الوطنية مع ظهور حركة الأمير خالد ...؟

وقبل مناقشة هذا الموضوع، نسجل هنا أن بعض المسلمين التقليديين –كما كانوا يسمون آنذاك- يحسنون اللغة الفرنسية، أبرزهم محمد بن رحال –السابق الذكر- وهو الناطق باسمهم، وكان أبرعهم، بفضل ازدواجية لغته وثقافته، وكان رجل سياسة، وكان عندما يخاطب الرأي العام الفرنسي يحسن انتقاء الألفاظ ويستعمل لهجة جديرة برئيس دولة، حيث قال : "عندما نحلم باحتياج نصف قارة وإكراه الأهالي وإدخالهم في دائرة البؤس ... فهذه ليست سياسة. نحن ممن يعتقدون أن في الإمكان العمل أحسن، ولكن ينبغي التعجيل بذلك، وإلا

[1] المرجع نفسه، ص 699.

[2] المرجع نفسه، ص 701.

صارت المصالحة في حكم المستحيلات. سوف يشهد القرن العشرون، لا محالة، ميلاد سياسة فرنكو إسلامية مناسبة، وإلا فسوف تحل الكارثة ..."[1]

ولكن، كيف تطورت تلك الأفكار بسرعة ؟

ثمة علاقة تبادل أفكار وآراء ظهرت بين الفئة المثقفة التونسية والجزائرية عن طريق علاقات أعيان قسنطينة بتونس، كيف حدث ذلك ؟

- **الحزب التونسي** :تأسس سنة 1907 بمبادرة من الثعالبي وعلي باش حنبه، وكان أعضاؤه وأنصاره يعرفون باسم "الشبان التونسيين"، اعترفت فرنسا بهذا الحزب. وكان من شأن هذا النموذج القريب من الجزائر أن يعجل بمسار مماثل فيها، الأمر الذي أزعج بعض الصحفيين الكولونيين فمضوا ينددون بالخطر المحدق والمتمثل في "صحوة الشبيبة المسلمة" رافضين فكرة "صحوة الشعور الوطني عند الأهالي"[2]، قائلين : "سوف يحث وعّاظ الشعب العربي على الثورة باسم الحرية وباسم الحق الذي سوف ينتصر على القوة الظالمة ... وسوف يحلون اسم الله محل اسم الحرية، وفي هذا هلاكنا"[3].

ثانيا : تطور الحركة الوطنية

الآراءالنخبوية :

نحاول أن نرسم جدولا نعقد من خلاله مقارنة بين تلك النخب التي ظهرت مع مطلع القرن العشرين، ونحاول أن نبين برامجها ومطالبها :

النخبة الجزائرية : تمثل الاتجاه الليبرالي :

- كانت ترمي إلى تكوين كنفدرالية جزائرية تحت لواء فرنسا.
- لم تطالب بالاستقلال وكانت تطالب بتحسين أوضاع المسلمين الجزائريين.
- ترى أن العدو الوحيد للجزائريين هم المعمرون.
- غاب نجمها أثناء الحرب العالمية الأولى.
- بعد الحرب العالمية الأولى ظهرت بوجه جديد خاصة أثناء الانتخابات البلدية في سبتمبر 1919.
- شكلت الجناح المعارض للأمير خالد.
- نقطة الخلاف بينهما هي قضية إدماج الجزائريين وتجنيسهم بالجنسية الفرنسية والقانون

[1] المرجع نفسه، ص 702-703.

[2] La dépêche coloniale : 7 août 1907.

[3] L'écho du soir de Constantine : 2 mars 1907.

الخاص بها.

- الأمير خالد رفض ذلك إلا في إطار الأحوال الشخصية الإسلامية للجزائريين.

- النخبة فقدت مركزها على جميع المستويات.

الحزب الشيوعي الجزائري : كان لا يرى استقلال الفلاح الجزائري إلا في نطاق الكتلة الشيوعية العالمية.

- عقد أول مؤتمر تأسيسي له في مارس 1925.

- أهم مجلاته : انتشارالشيوعية، دورية اللجنة الإفريقية الفرنسية، الصراع الاجتماعي (جريدة 1925).

- أيّد ميثاق المؤتمر الإسلامي (1936) وأكد على وجوب تطبيق مشروع بلوم فيوليت.

- في أكتوبر 1936 أصبح يسمى "الحزب الشيوعي الجزائري"، عقد مؤتمره الأول في 17 و1936/10/18 بالجزائر.

- تبعيته للحزب الشيوعي الفرنسي.

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين : تأسست في ماي 1931.

- امتازت باتجاهها الحضاري العربي الإسلامي، مقاومة الثقافة الاستعمارية والمحافظة على الهوية الوطنية.

- لم تطالب بالاستقلال صراحة في برنامجها.

- جاء في البند الأول من برنامجها أنها لن تخوض في المسائل السياسية، ولكن هل التزمت بهذا النص؟

- تصدت للطرقية ولحركة التبشير المسيحي لغزو القلوب بعد أن احتلت الأراضي.

- في المؤتمر الإسلامي، صرح فيه فرحات عباس : "فرنسا هي أنا" ؛ عبد الحميد ابن باديس : "إنكم لا تمثلوننا أبدا، ولا تتكلمون باسمنا : "...إن هذه الأمة الجزائرية مسلمة وليست هي فرنسا ولا تستطيع أن تكون فرنسا".

- مناداتها بالانفصال عن فرنسا وهو معنى مرادف للاستقلال.

اتحاد النواب المسلمين الجزائريين :

في شهر جوان 1927 أسس ل.أ منظمة لهم "إ.ن.م.ج" جاء في مطالب مؤتمرها التأسيسي الأول المنعقد في 1927/12/11 :

- تمثيل الجزائريين في البرلمان.

- المساواة في الضرائب.

- المساواة في الوظائف الإدارية.

- المساواة في الخدمة العسكرية.
- إلغاء قانون الأهالي.
- إلغاء إجراءات الهجرة.
- تطوير المستوى الثقافي والتربية المهنية للجزائريين.
- تطبيق القوانين الاجتماعية على الجزائريين بالمساواة.

ملاحظة : برنامجها يدور كله في فلك القانون الفرنسي والتعليم الفرنسي والحضارة الأوربية. لم تشر إلى التعليم العربي.

سنة 1935 كانت حاسمة :

- أحداث دموية بقسنطينة، 3 و 5 أوت 1935.
- لجأت النخبة الجزائرية / قسم مسلمي قسنطينة برئاسة الدكتور ابن جلول إلى وضع برنامج :

* إصلاح القضاء الإسلامي.
* زيادة عدد المدارس باللغة العربية.
* فصل الدين عن الدولة.
* تطبيق قانون المساواة على الصحافة دون تفرقة.

الحركات الوطنية الثلاث :

الاتفاق بينها : "ج.ع.م.ج" و "اتحاد. ن.م" بقسنطينة والاتحاد الجزائري للحزب الشيوعي حتى نهاية 1935، للتعبير عن مطالبها الموحدة والبحث عن وسيلة عمل مشتركة. كتب فرحات عباس في مدخل جريدة "الوفاق الفرنسي الإسلامي" لسان حال اتحاد ن.م.ج قسم قسنطينة بتاريخ 1936/02/27 مقولته الشهيرة : "فرنسا هي أنا".

- بعد ذلك بقليل أنكر الدكتور ابن جلول الوطنية الجزائرية وقال : "ألم نرفض ألف مرة هاتين الفكرتين : الوطنية والجامعة الإسلامية في الجزائر المتناقضتين، وإذ كان لدينا وطنية أفليست هي فرنسا لحما ودما".
- الحكومة الشعبية في باريس خيبت آمال النخبة في تطبيق مشروع بلوم فيوليت (1936).
- فقدت النخبة ثقتها في هذه الحكومة.
- فرحات عباس أعلن عن تكوين "اتحاد الشعب الجزائري" من أجل الحصول على حقوقه الإنسانية والاجتماعية (جويلية 1938).

نتيجة هذا الخلاف : ابن جلول كان يرى أن هذه المطالب لا تتحقق إلا في إطار "التجمع الفرنسي الإسلامي الجزائري" جميع الفئات ...فرحات عباس لخّص برنامج حزبه الجديد في المطالبة بثلاث نقاط :

الحكم بالمساواة.

إقامة نظام اقتصادي يضمن الخبز للجميع.

تكوين جمهورية جزائرية فرنسية حقيقية.

ملاحظة : دعا جميع الشعب للمشاركة، لم يخرج حزبه عن إطار البرامج التقليدية : "جمهورية جزائرية جزء لا يتجزأ من الجمهورية الفرنسية".

النتيجة : الخلاصة أن النخبة الجزائرية لا ترى في استقلال الجزائر مطمعا إلا في إطار تكوين كنفدرالية جزائرية داخل الجمهورية الفرنسية. أي التزمت بمبدأ المساواة بين الجزائريين والفرنسيين في الميدان السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي. ولكن لم تنل شيئا من المستعمر بالرغم من كل الخضوع والتبعية للمحتل لأن طالب الإحسان من الاستعمار كطالب النسل من العقيم.

حركة الأمير خالد (1919-1925)

أطلق مؤرخو الحركة الوطنية الجزائرية على حركة الأمير خالد عدة أسماء : "اتجاه وطني إسلامي"، "وطني اشتراكي"، "حركة إصلاحية".

- بدأ حركته أواخر 1919 عند انفصاله عن النخبة.
- مطالبه في هذا التاريخ لم تخرج عن إطار المساواة، لكن الكشف عن عريضة نشر نصها ش.ر. آخرون ودعمها أبو القاسم سعد الله بالوثائق، صار الأمر واضحا بأن حركة الأمير خالد السياسية كانت في بدايتها ثورة انفصالية استقلالية.

العريضة :

1- اعتمدت مبادئ ولسن 14.

2- عرض عن أحوال الجزائريين.

3- استنجدت بولسن بناءا على تصريحاته وبرنامج عمله لتخليص الجزائر من نير العبودية.

نفي من الجزائر في شهر جوان 1923 بتهمة معاداته للحكومة الفرنسية صراحة ونشر البلبلة. نفيه إلى الإسكندرية.

اتهمته فرنسا اتهامات أخرى :

* تأييده ثورة عبد الكريم الخطابي : أكدت المحكمة بإكس براءته.

دام الأمير خالد يدافع عن الإسلام وقضية المسلمين إلى أن وافته المنية في دمشق في 1936/01/09.

خصته الصحف الجزائرية والعربية بتأبينات جمة، جريدة الدفاع (1936/01/24) كتبت أن الجزائر المسلمة تبكي فيه الفارس والمناضل الذي سيبقى اسمه مرتبطا بحركة "الجزائر

الفتاة".

حركة نجم شمال إفريقيا :

- تأسس رسميا في فيفري 1926 بباريس.
- الأمير خالد رئيسا شرفيا له.
- جريدة "الإقدام" لسان ناطق باسمه، أطلق عليها اسم "إقدام الشمال الإفريقي".
- ظهر في بدايته كأنه فرع من فروع الحزب الشيوعي الفرنسي.
- قيادته الأولى كانت بيد الشاذلي خير الله التونسي، شاركه فيها حاج علي عبد القادر.
- حاج علي كان منشغلا بالتجارة، خلفه أحمد مصلي المدعو مصالي دون مهنة خاصة.
- الحكومة الفرنسية نفت الشاذلي خير الله في 1927/12/27، اقتصر مصالي على مطالب جزائرية فقط.
- اجتمع مجلسه في 1928/02/19 وأقر برنامجه بعد مراجعته في البند الثالث منه : "إن هدف الجمعية الأساسي هو تنظيم الكفاح لتحقيق استقلال بلدان شمال إفريقيا الثلاثة ..."

حزب الشعب الجزائري :

- تأسس في مارس 1937 على يد قادة النجم المنحل وعلى رأسهم مصالي.
- نشرت جريدة "الأمة" بيانا عرفت فيه بالحزب الجديد.
- أبرز ما جاء فيه الوقوف ضد قضية الإدماج.
- أعضاء هذا الحزب استفادوا كثيرا من جمعية العلماء وحركة خالد.
- كان يستهدف كسب شعبية واسعة في الجزائر وفرنسا، ولكن الحكومة الفرنسية كانت بالمرصاد.
- مصالي تأثر بأفكار شكيب أرسلان وبعبد الحميد بن باديس.
- رفض مشروع بلوم فيوليت.
- فرنسا سارعت إلى اعتقال مصالي الحاج نتيجة مظاهرات 1937/07/14 قام بها حزب الشعب وحمل شعارات منها "العلم الجزائري".
- عقد رابطة بين تونس والجزائر وفاس للمطالبة بإطلاق سراح مصالي وعلال الفاسي ولحبيب بورقيبة.
- الحزب ربط مصير زعيمه بقضية التونسيين والمغاربة سياسيا، وظهرت فكرة العمل الثوري الموحد كالتالي :

* **لجنة العمل الثوري الشمال أفريقية :** بعد أن خاب أملهم في السياسة الاستعمارية، أسسوا مع بداية 1939 جمعية "لجنة العمل الثورية الشمال أفريقية" (C.A.R.N.A)

- هدفها الأول هو الحصول على السلاح لتفجير ثورة تحريرية في المغرب العربي.
- استفادت من الكشافة الإسلامية الجزائرية التي أسسها عمر بوراس 1935 بفضل مساعدات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

* **العمل الوحدوي** :فكرة الحزب إثر الحرب العالمية الثانية، بعث جبهة واحدة للنضال على مستوى المغرب العربي من أجل الاستقلال.

- عدم التفاوض مع أي قوة محتلة (فرنسا وإسبانيا) انفراديا، أي استبعاد كل عمل ثوري يسلك مسلكا قطريا.
- ظل الأمين دباغين في غدو ورواح بين تونس والمغرب الأقصى خلال سنتي 1945-1946 للتنسيق، واشتكى دباغين قائلا : "أن الأمور ليست على أحسن ما يرام"، ذلك أن جماعة الدستور الجديد كانت لا تريد تنسيق العمل الثوري على المستوى المغاربي.
- على مستوى المغرب الأقصى : اتصل دباغين وفيلالي بالمهدي بن بركة الذي أوصلهما إلى بعض أعضاء حزب الاستقلال، منهم أحمد بلافريج ومحمد بن ناصر بوجدة.
- لاحظت المصادر أن المحادثات كانت صارمة بين وفد حزب الشعب وحزب الاستقلال، هذا الأخير رأى أن استقلال الجزائر لايزال بعيدا بحكم قانونها الخاص (ولاية فرنسية)، في حين أن بلادهم أجدر بالسيادة، لأن فرنسا تعترف بالمغرب كمملكة.

بعد خيبة آمال حزب الشعب في توحيد العمل المغاربي، دعا جميع الأحزاب الوطنية باستثناء الحزب الشيوعي الجزائري إلى عقد تجمع إسلامي حول برنامج مشترك يكون على شكل المؤتمر الإسلامي. وقدم اقتراحات في شهر أوت 1938 وضح فيها مطالبه، وتضمن هذا البرنامج عددا كبيرا من مطالبه القديمة منها إلغاء القوانين الاستثنائية والمطالبة بالحريات الديمقراطية وحرية الصحافة والتجمع والتعبير، وحق الانتخاب بالاقتراع العام والعدالة في العمل والأجور، ونزع الأراضي من أيدي المعمرين وتوزيعها على الفلاحين، وإلغاء نظام الخماسة والكفاح ضد الجهل والمطالبة بالتعليم باللغتين العربية والفرنسية، والعفو العام على جميع المساجين والمعتقلين السياسيين[1].

ولم يكتب لهذا التجمع أن يقع، ومع ذلك فإن حزب الشعب قد كسب أنصارا كثيرين أيّدوا مبادئه الانفصالية. وجاء في تقرير لمصالح الشؤون الأهلية، قدمته إلى وزارة الداخلية الفرنسية

[1] يوسف مناصرية : الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين العالميتين 1919-1939، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص 101.

بتاريخ 25 جويلية 1938، إحصاءات لعدد مناضلي هذا الحزب الرسميين تقول بأنه بلغ 2500 عضو توزعوا على 52 فرعا منتشرين في مختلف مدن فرنسا والجزائر[1].

وفي شهر نوفمبر 1938 نقل حزب الشعب الجزائري مقره من باريس إلى الجزائر وأعلن عن تأسيس جريدته الجديدة في 18 ماي 1939 التي سماها (البرلمان الجزائري). وكان تحريرها يجري بالجزائر واهتمت بالدفاع عن استقلال الشعب الجزائري. ومن أهم مقالاتها مقال طويل نشرته في 17 جوان 1939 تحت عنوان (حزب الشعب الجزائري من أجل استقلال الشعب الجزائري). وضحت في هذا المقال برنامج الحزب ولخصت أهدافه في ثلاث نقاط هي[2] :

الاقتراع العام الذي يمنح للشعب الجزائري المسلم إمكانية التعبير ويضع حدا لتصرفات الانتهازيين.

البرلمان الجزائري الذي يقوم على مبدأ الاقتراع العام ويكون مكان المجالس المالية التي يجب إلغاؤها.

مبدأ التحرير الذي يهدف إلى إبطال سياسة الاندماج والوصول بالشعب الجزائري (المسلم) إلى إطار المشاركة في تسيير شؤون بلاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ويجب الإشارة إلى أن الحزب كان قد قدّم شروحا وافية عن هذه النقطة الأخيرة (مبدأ التحرير) وقال أنها تعني أن يسير الشعب الجزائري شؤونه بنفسه دون أي ضغط خارجي.

ولكن لو منحت الإدارة الفرنسية الشعب الجزائري حق تسيير شؤونه بنفسه فما علة بقائها في الجزائر إذا لم تكن هي صاحبة الأمر والنهي ؟

إن هذا المطلب –في نظرنا- لا يدل على شيء آخر غير منح الجزائريين استقلالهم. ولعل هذا هو السبب الذي جعل الإدارة الفرنسية في الجزائر تتعاون مع المعمرين على عرقلة مرشح حزب الشعب السيد العمودي (مدير جريدة البرلمان الجزائري)، وذلك رغم نجاحه في الانتخابات التي جرت في شهر أفريل 1939.

وخلال صيف 1939، ندّدت الصحف الفرنسية بمواقف حزب الشعب الجزائري وجمعية

[1] المرجع نفسه، ص 102.

[2] المرجع نفسه، ص 102-104.

العلماء المسلمين الجزائريين. وراحت تذكر حكومتها بما قاله هؤلاء عن القضية الجزائرية.
وذكرت دورية افريقية الفرنسية في عدد جوان 1939 بما كتبه السيد سورين سنة 1938 قائلا : "هل نريد أن ننسى جميع ما قاله ابن باديس ومصالي بأن الجزائر لا تستطيع أن تكون فرنسا ...فصحافتهم تضاعف هجوماتها كل أسبوع ضد فرنسا وتهددها بانتقام الإسلام ؟"[1].
وعلى أية حال، فإن الخوف قد سيطر عل الفرنسيين، فلجأوا إلى القضاء على حزب الشعب الجزائري باسم القانون. وكررت ضده نفس الاتهامات وهي "المس بوحدة التراب الوطني وبالسلطة الفرنسية"[2]. وأول عملية قامت بها مصالح الشرطة هي مهاجمة مقر جريدة الأمة وكذلك مقر إقامة مديريها واحتجزت وثائق مهمة.
وكان السيد مصالي الحاج قد استوفى مدة حبسه في 27 أوت 1939، ولكنه لم يكد يستقر خارج السجن حتى ألقي عليه القبض من جديد بعد حوالي شهرين من هذا التاريخ. وكان القرار قد صدر بحل حزب الشعب الجزائري نهائيا ومنع جريدة الأمة في شهر سبتمبر 1939.
ويستخلص من كل ما سبق أن حزب الشعب الجزائري كان ثوريا في اتجاهه كما غلبت عليه الميول العربية الإسلامية. فاختلف بذلك عن ميول نجم شمال إفريقيا والنجم المجيد في بدايته، ولعل ذلك يرجع إلى التيارات التي تأثر بها أصحاب الحزب الأخير، مما أدى إلى القطيعة بينهم وبين الشيوعيين أو أصحاب الاتجاه الشيوعي.
ومهما يكن، فإن حزب الشعب كان وطنيا ثوريا تدرج مع مرور الزمن إلى أصالته العربية الإسلامية.

[1] « L'Algérie : Le débat sur "l'amnistie", bulletin du comité de l'Afrique française, N°6, 50ème année (juin 1939), pp. 172-174.
نقلا عن يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 104.
[2] نفسه، ص 104.

ثالثا : الآثار

دور الحركة الوطنية في مظاهرات 8 ماي 1945 :

عثرنا على تقرير سري أرسل به الحاكم العام بالجزائر إلى وزير الداخلية بتاريخ 05 أكتوبر 1945 يحمّل فيه مسؤولية تلك الأحداث إلى جمعية العلماء وحزب الشعب الجزائري وأحباب الأمة[1].

"تقرير آخر بعث به العقيد جوف (Jouve)، قائد ميليشيا ولاية وهران، بتاريخ 15 ماي 1945 إلى الحاكم العام، سجل فيه ما يلي : "إنه لمن المؤكد جدا أن الاضطرابات الدموية التي وقعت بولاية قسنطينة كانت محتملة بالنسبة لكامل القطر الجزائري، ولكن –فقط- عناصر المناطق التي كان تأثير الوطنيين المسلمين فيها كبيرا (سطيف – قالمة – خراطة) هم وحدهم الذين انتقلوا إلى الفعل الميداني ..."[2]

عثرنا كذلك على رسالة بأرشيف إكس تحت رقم 1CM55 مؤرخة في 14 جوان 1945، تم إيداعها إلى فرقة الدرك الاستعماري بتيزي وزو، من طرف شابين مراهقين جزائريين، الأول اسمه الكامل : حوري مصطفى عمره 14 سنة، والثاني : ترمول محمد عمره 13 سنة، كانا قد سلما إلى تلك الفرقة رسالة مغلقة جاء فيها ما يلي : "منذ 125 سنة مضت تحت قيادة الفرنسيين، لا يزال المسلمون الجزائريون يعانون ويعيشون في فقر مدقع وبؤس رهيب، ولكن كيف يعاني هؤلاء ؟ هل رأيتم فرنسيين يمشون حفاة عراة ؟! هل رأيتم فرنسيين يموتون جوعا ؟! كلا. ولكن الجزائريين المسلمين يموتون بسبب ذلك. لماذا أنتم أحرار في بلدنا الأم ؟!ولماذا لا نكون نحن مثلكم ؟!ألسنا رجالا مثلكم ؟! أليس في قلوبكم الرحمة تجاه المسلمين؟! بماذا نطالبكم ؟! ليس أقل من الاستقلال"[3].

ولعل من المفيد أن نلحق بعض التقارير التي تم نقل محتواها لصعوبة تصويرها لمزيد من الاطلاع والمعرفة في ملحق لهذه المقالة. ومن بين هذه الوثائق والتقارير، تقرير محافظ شرطة مدينة شرشال (سري) مؤرخ في 11 و 12 ماي 1945 (صورة طبق الأصل) مرسل إلى الحاكم

---

[1] Archives Aix (CAOM), 1CM55, Rapport du gouverneur général (secret) au ministre de l'intérieur, le 5 octobre 1945.

نقلا عن الوثسقة الأصلية التي لم نتمكن من تصويرها. انظر الملحق رقم 01.

[2] Idem, 1CM50, Rapport secret, Oran, le 05 mai 1945.

الملحق (وثيقة رقم (02) نقلا عن الأصلية.

[3] Idem, 1CM55, Brigade de gendarmerie de Tizi Ouzou, le 14 juin 1945, « Deux jeunes musulmans de Tizi Ouzou »

انظر محتوى الرسالة في الملحق رقم 03.

العام وإدارة الأمن العام بالجزائر العاصمة ورئيس بلدية شرشال وجهات أخرى، يصف فيه حالة الرأي العام الأهلي بمدينة شرشال ومدى تأثره بأحداث 08 ماي 1945، وكيف تطور هذا الرأي إلى المطالبة بالاستقلال.

ومما جاء في هذا التقرير "أن هناك علامات لا يمكن نكرانها، خاصة بالنسبة للشباب المسلم من ماسح الأحذية إلى المراهق إلى شباب تجار السوق السوداء، إن هؤلاء وصلتهم تعليمات الوطنيين من حركة حزب الشعب ومنظمات أخرى سياسية لاستغلال الظروف الحالية للمطالبة بالاستقلال"[1].

والخلاصة أن الحركة الوطنية بدأت تتسارع تطوراتها إثر مجازر 8 ماي 1945، وبدأت مطالبها التقليدية تتلاشى نتيجة عدم استجابة المحتل لأدنى الحقوق الإنسانية للجزائريين، وبدا أسلوب طالب الإحسان من الاستعمار كطالب النسل من العقيم، فبدأ الاستعداد والإعداد لتفجير الثورة، فتأسست المنظمة الخاصة، فكيف كانت النتيجة ؟

لقد كان حزب الشعب الجزائري منذ تأسيسه من أوائل الأحزاب القومية في المغرب العربي التي فضلت أسلوب الكفاح المسلح على العمل السياسي منذ بداية 1947، حيث أصبحت بعض عناصره الثورية منشغلة بالتحضير للثورة وكيفية الحصول على الأسلحة، هذا المطلب الأخير الذي أصبح أكثر إلحاحا بعد اندلاع الثورة في الفاتح من نوفمبر 1954 باعتباره قضية موت أو حياة، فالإشكالية التي تطرح كيف ابتدأ الإعداد العسكري والسياسي للثورة الجزائرية ؟

كان تأسيس المنظمة العسكرية حدثا هاما في تحول الحركة الوطنية الجزائرية من نضال الكلمة إلى الكفاح المسلح، حيث تجسد بصورة تطبيقية على أرض الواقع منذ سنة 1947 حتى 1950 باحتضان من التيار السياسي الذي واصل نضاله منذ مطلع الربع الثاني من القرن العشرين، حيث أسندت قيادة هذه المنظمة للمناضل محمد بلوزداد أحد أبرز الشخصيات السياسية.

ونظرة سريعة حول الأوضاع السائدة في الجزائر قبيل الثورة التحريرية تتضح أمام القارئ حتمية هي مباشرة الإعداد للعمل المسلح خاصة بعد المجازر التي ارتكبها المستعمر يوم الثامن ماي 1945 بالشرق الجزائري، والتي كان من أهم نتائجها التفكير بعمق في إعداد ثوري استراتيجي عن طريق تحضير قوة منظمة ومتخصصة في مختلف الأعمال الثورية، بمعنى جهاز قادر على تحدي ومواجهة قوات الاحتلال.

[1] Idem, Commissariat de police de Cherchell, Rapport secret, le 11 au 12 mai 1945.
انظر الملحق، الوثيقة الأصلية (صورة رقم (04).

لقد بادر محمد بلوزداد بتنصيب أعضاء هيئة الأركان من الرجال الذين يثق فيهم، وبدأ الاتصال أولا بأحمد بن بلة وحسين آيت أحمد وتشكلت هيئة الأركان من السادة : حسين آيت أحمد : رئيس هيئة الأركان (أي المسؤول السياسي)، بلحاج جيلالي عبد القادر : المدرب العسكري العام (أي المسؤول العسكري). أما محمد بلوزداد فكان دوره القيام بعملية التنسيق بين مختلف الهيئات إلى جانب ضبط الاتصال مع المكتب السياسي لحزب الشعب الجزائري والذي يتم من خلال شخص واحد وهو حسين لحول الأمين العام للحزب. فهؤلاء الثلاثة هم الذين شكلوا قيادة الأركان، أما بقية الأعضاء فقد أسندت إليهم المسؤوليات التالية : محمد بوضياف مسؤول قسنطينة. جيلالي رقيمي : مسؤول العاصمة وضواحيها (متيجةوالتيطري أو كما يطلق عليها اسم الجزائر الأولى). محمد مروك : مسؤول الشلف والظهرة (الجزائر الثانية). عمار ولد حمود : مسؤول منطقة القبائل. أحمد بن بلة : مسؤول وهران. محمد يوسفي : مسؤول شبكات الاستعلامات والاتصالات. مصطفى بن بولعيد : مسؤول الأوراس. العربي بن مهيدي : مسؤول عين مليلة (التابعة للمنطقة الأولى أثناء الثورة). مراد ديدوش : مسؤول الشمال القسنطيني.

هذه التشكيلة لم تتغير حتى بعد مجيء حسين آيت أحمد الذي تسلم المهام خلفا لمحمد بلوزداد في نوفمبر 1947، وستكون مهامها متعددة من تدريب إلى جمع للأسلحة، إلى الاهتمام بالاستعلامات عن المحتل، والاطلاع على تنظيماته وتحركات أهم أجهزته العسكرية والبوليسية والإدارية. وقد بدأ تنظيم المجندين في المنظمة عبر التراب الوطني على النحو التالي : الفوج : ويتكون من أربعة (04) مناضلين يرأسهم مسؤول. الفرقة : وتتكون من ثلاثة (03) أفواج ومسؤول. الفصيلة : وتتكون من ثلاثة (03) فرق ومسؤول. وتعد هيأة الأركان قمة الهرم الهيكلي. كما كان للمنظمة شبكات أخرى.

وفي ظرف حوالي سنة تمكنت المنظمة من وضع الترتيبات الهيكلية والنظامية عبر التراب الجزائري، حيث وصل عدد أفرادها حوالي ألف وخمسمائة (1500) مجند يعملون في سرية كاملة وتدريب مستمر.

وأمام وصول النضال السياسي للحركة الوطنية الجزائرية إلى منعرج حاسم، كانت المنظمة عبر أنحاء التراب الوطني ترسي دعائمها انطلاقا من التخطيط واختيار رجالها وفقا لمعايير دقيقة إمعانا في السرية. كما تشكلت العديد من الخلايا الأخرى التي كانت لها مهام متعددة كالدعاية والعمل العسكري المباشر، حيث كان من بين عناصرها من شارك في الجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الثانية وحرب فيتنام.

واعتبر مشكل جلب السلاح والتمويل من أكبر المشاكل وأخطرها منذ البداية، إذ كان لزاما على مناضلي المنظمة البحث عن الأسلحة سواء داخل الوطن أو خارجه عبر الحدود الليبية والتونسية والمغربية قصد تهريبها أو شرائها.

يقول أحمد بن بلة في مذكراته : "إننا لا نعدم نقودا في الجزائر، وإنما يجب أن نأخذها حيثما توجد في البريد أو في البنوك. لنكن منطقيين مع أنفسنا، إذا كنا على استعداد للتضحية بحياتنا في هجوم عنيف ضد المحتل، فلا ينبغي أن نتخثر احتراما أمام خزائنه المالية". وهكذا يفتح بعض أعضاء المنظمة الخاصة مثل أحمد بن بلة وحسين آيت أحمد ومحمد خيضر الطريق لتجاوز الأزمة المالية واعتبار الأموال التي يستفيد منها المعمرون ويتداولونها في البنوك والمصارف ملكا مشاعا لكل الجزائريين. وبعد تفويض من الحزب إثر اجتماع اللجنة المركزية في شهر ديسمبر 1948 تم مهاجمة مركز بريد وهران ليلة 5 أفريل 1949، ورغم خطورة العملية فإنها لم تتجاوز مبلغا قدره 3070000 فرنكا عكس ما كان متوقعا.

الواقع أن أعضاء المنظمة قد وجدوا أنفسهم أخيرا في مأزق صعب، فلا القيادة السياسية اتّخذت القرار بتفجير الثورة، ولا هي سمحت بذلك للمنظمة العسكرية بحجة أو الوقت لم يحن بعد والشعب غير مستعد لاستيعاب الثورة والإمكانيات غير كافية والتدريب غير مكتمل.

ومهما يكن من أمر فقد تم اكتشاف المنظمة يوم 18 مارس 1950 من طرف السلطة الاستعمارية، حيث تمكنت الشرطة الفرنسية من القبض على المئات من المناضلين من بينهم أعضاء هيئة الأركان مثل أحمد بن بلة وجيلالي رقيمي قائد تنظيم العاصمة، وعمار ولد حمود من منطقة القبائل، وبلحاج جيلالي مدرب وطني، وحمو بوتليليس قائد المنطقة الوهرانية، وأحمد محساس قائد منطقة الجزائر الجنوبية. كما تم كشف أهم مراكز ومخابئ الأسلحة وذخيرتها، وتعرض أعضاء المنظمة للقمع والتعذيب، وصدرت ضدهم أحكام جائرة مثل الأعمال الشاقة والسجن المؤبد، منهم أحمد بن بلة ومحمد خيضر وحسين آيت أحمد. حيث فر بعضهم من السجن خارج الوطن خاصة القاهرة وفرنسا مثل أحمد بن بلة ومحمد خيضر وحسين آيت أحمد وعمار بن عودة، ومحمد بوضياف، ومراد ديدوش، وبعضهم ظل في حالة فرار إلى غاية اندلاع الثورة مثل العربي بن مهيدي وعبد الحفيظ بوالصوف ورمضان بن عبد المالك في منطقة وهران، ورابح بيطاط وبالحاج بوشعيب وسويداني بوجمعة في مقاطعة الجزائر ولخضر بن طوبال ومحمد مشاطي في قسنطينة.

بعد ذلك، ابتعدت القياداتالحزبية عن الأهداف الثورية التي سطرتها منذ البداية، وهذا ما جعل أعضاء المنظمة يفكرون في اتّخاذ موقف مستقل نهائيا عن المنظمة السياسية، وكانت بداية الانفصال بداية صعبة لأنهم أصبحوا يعيشون في عزلة تامة، حيث واصلت بعض

المناطق نشاطها العسكري مثل الأوراس التي ستظل معقلا للثوار الذين كانوا على اتصال دائم مع بعضهم البعض.

وبالرغم من اكتشاف المنظمة، فقد استطاعت أن تكون عددا من الرجال قامت بتدريبهم على أساليب القتال وطرق استعمال السلاح.

ومع نهاية سنة 1953 والنصف الأول من سنة 1954 كان حزب الشعب –حركة انتصار الحريات الديمقراطية- قد انقسم إلى تيارين متصارعين حول القيادة : هما المصاليون والمركزيون. وفي خضم هذا الصراع اتّخذت بعض عناصر المنظمة السرية موقفا ثالثا كمخرج للأزمة وهو المرور إلى الكفاح المسلح وعدم الانشغال بالصراعات السياسية العقيمة. وقد استطاعت هذه العناصر أن تجمع شملها وتنظم صفوفها بعقد لقاءات مختلفة بين أبرز عناصرها، منه الاجتماع الذي انعقد في 25 جوان 1954 بالعاصمة وعرف باجتماع (22). وكان أهم اجتماع لهذه المجموعة هو اتخاذ القرار بتفجير الثورة في أقرب الآجال بالتنسيق مع أعضاء الوفد الخارجي للحزب المتواجد بالقاهرة (أحمد بن بلة، حسين آيت أحمد، محمد خيضر).

لقد كانت سنة 1954 سنة ثورية بالنسبة للجزائر، فقد كان التعبير عن النقمة والآمال المتصاعدة تشترك في القوائم الانتخابية فيؤدي بها تزييف الانتخابات إلى الهزيمة، أو أنها تشق طريقها إلى الجمعية الجزائرية فتجد مشوارها الأخير هناك ... وكان هؤلاء الوطنيون الذين مازالوا يهتمون بالاجتماع يلتقون أحيانا لندب عجزهم المتزايد وأموالهم الضئيلة للاشتراك في مشاحنات لا جدوى منها، وأخذت ثقة الوطنيين في أي تطور سلمي تختفي وتضمحل، وبدأت أفكار القوة والعنف تتصاعد، وبدأ التباين والخلاف يصلان إلى أقصى امتدادهما. ووراء هذه المناقشات غير المثمرة، كان معظم الشعب الجزائري على شفير المجاعة والإبادة.

لقد كانت انتفاضة 8 ماي 1945 وما خلفته من مجازر رهيبة ارتكبها هذا الاستعمار الغاشم قد جعلت من الشعب الجزائري يحمل بذور الثورة المسلحة، خاصة بعد أزمة حركة انتصار الحريات الديمقراطية عام 1953، حيث انقسم الحزب على نفسه، وقام أنصار المنظمة السرية بتكوين "اللجنة الثورية للوحدة والعمل" التي قررت الخروج من النشاط السياسي والشروع في الكفاح المسلح، ووضع الأحزاب بالتالي أمام الأمر الواقع، حيث جاء بيان أول نوفمبر 1954 يبين موقف الثورة من الحركة الوطنية.

موقفبيان أول نوفمبر1954 من الحركة الوطنية

لقد اعتبر البيان في خطابه إلى الشعب الجزائري وإلى المناضلين من أجل القضية الوطنية أن الحركة الوطنية بعد مراحل من الكفاح قد أدركت مرحلة التحقيق النهائية، فإذا كان هدف

أي حركة ثورية في الواقع هو خلق جميع الظروف الثورية بعملية تحريرية، فإننا نعتبر أن الشعب الجزائري في أوضاعه الداخلية متحدا حولقضية الاستقلال"

"إن أحداث تونس والمغرب لها دلالتها في هذا الصدد، فهي تمثل بعمق مراحل الكفاح التحرري في شمال إفريقيا، ومما يلاحظ في هذا الميدان أننا منذ مدة طويلة أول الداعين إلى الوحدة في العمل، هذه الوحدة التي لم يتح لها مع الأسف أن تتحقق أبدا بين الأقطار الثلاثة.

كما اعتبر البيان أن الحركة الوطنية قد تجاوزتها الأحداث :

"إن كل واحد منها (أي تونس والمغرب) قد اندفع اليوم في هذا السبيل (الجهاد)، أما نحن الذين بقينا في مؤخرة الركب فإننا نتعرض إلى مصير من تجاوزته الأحداث. وهكذا فإن حركتنا الوطنية قد وجدت نفسها محطمة نتيجة لسنوات طويلة من الجمود والروتين وتوجيهها السيء وهي محرومة من سند الرأي العام الضروري. لقد تجاوزتها الأحداث، الأمر الذي جعل الاستعمار يطير فرحا ظنّا منه أنه قد أحرز على أضخم انتصاراته في كفاحه ضد الطليعة الجزائرية".

كما سجل هذا البيان "أن الوقت قد حان لإخراج الحركة الوطنية من المأزق الذي أوقعها فيه الأشخاص والتأثيرات لدفعها إلى المعركة الحقيقية الثورية إلى جانب إخواننا المغاربة والتونسيين".

"وبهذا الصدد فإننا نوضح بأننا مستقلين عن الطرفين اللذين يتنازعان السلطة. إن حركتنا قد وضعت المصلحة الوطنية فوق كل الاعتبارات التافهة والمغلوطة لقضية الأشخاص والسمعة، ولذلك فهي موجهة فقط ضد الاستعمار الذي هو العدو الوحيد الأعمى الذي رفض أمام وسائل الكفاح السلمية أن يمنح أدنى حرية.

"ونحن نظن أن هذه الأسباب كافية لجعل حركتنا التحريرية تظهر تحت اسم جبهة التحرير الوطني. وهكذا نتخلص من جميع التنازلات المحتملة ونتيح الفرصة لجميع المواطنين الجزائريين من جميع الطبقات الاجتماعية وجميع الأحزاب والحركات الجزائرية، أن تنضم إلى الكفاح التحريري دون أدنى اعتبار آخر. ولكي نبين بوضوح هدفنا فإننا نسطر فيما يلي الخطوط العريضة لبرنامجنا السياسي :

الهدف : الاستقلال بواسطة :

1- إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الشعبية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية
2- احترام جميع الحريات السياسية دون تمييز عرقي أو ديني

الأهداف الداخلية :

1- التطهير السياسي بإعادة الحركة الوطنية إلى نهجها الحقيقي والقضاء على جميع مخلفات الفساد وروح الإصلاح التي كانت عاملا هاما في تخلفنا الحضاري
2- جمع وتنظيم جميع الطاقات السلمية لدى الشعب الجزائري لتصفية النظام الاستعماري

الأهداف الخارجية :

- تدويل القضية الجزائرية
- تحقيق وحدة شمال إفريقيا في داخل إطارها الطبيعي العربي الإسلامي
- في إطار ميثاق الأمم المتحدة نؤكد عطفنا الفعال تجاه الأمم التي تساند قضيتنا التحريرية

هكذا انتهت الحركة الوطنية إلى النهاية التي آلت إليها، فاسحة بذلك المجال إلى طريق الكفاح المسلح، الأسلوب الذي لا يفهم المحتل غيره، والذي لم يتجاوب معه إلا بعد أن انهزم وفشل، بالرغم من كل ما سخر من القوة والرجال، برّا وبحرا وجوّا، إلى حد الاستنجاد بالحلف الأطلسي، ولكن بإرادة الله عزّ وجلّ، ثم بعزيمة الرجال والاستجابة لنداء الجهاد والاستشهاد تحقّق النصر واستسلم المحتل لاتفاقيات إيفيان التي نصت على استقلال الجزائر وسيادة أراضيها كاملة.

تلك هي مسيرة ومخاض ومجابهات الحركة الوطنية مع المحتل التي أفضت إلى هذه النتيجة الباهرة في تفجير ثورة نوفمبر 1954.

الملاحق

تقارير تبين دور الحركة الوطنية في مظاهرات 8 ماي 1945، حيث تتهمها السلطات الاستعمارية بأنها المحرض والفاعل في تعبئة الجماهير وتأطيرها ودفعها لرفض الاحتلال والمطالبة بالاستقلال.

تمّ كتابة ما جاء في التقارير التي تعذّر علينا تصويرها، باستثناء تقرير محافظ شرطة مدينة شرشال.

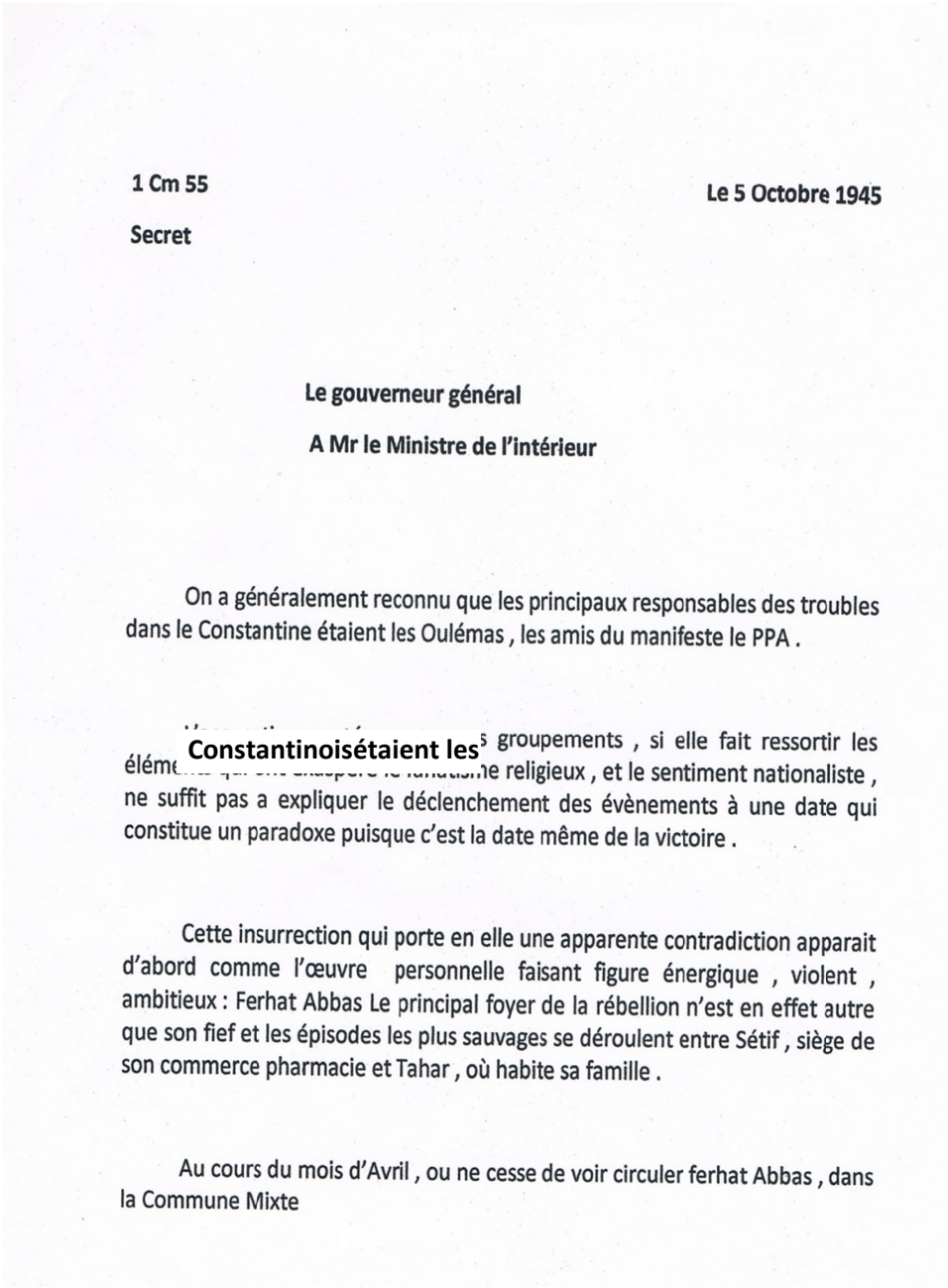

1 Cm 55

Le 5 Octobre 1945

Secret

Le gouverneur général

A Mr le Ministre de l'intérieur

On a généralement reconnu que les principaux responsables des troubles dans le Constantine étaient les Oulémas , les amis du manifeste le PPA .

Constantinoisétaient les

groupements , si elle fait ressortir les éléments qui ont disposé la fanatisme religieux , et le sentiment nationaliste , ne suffit pas a expliquer le déclenchement des évènements à une date qui constitue un paradoxe puisque c'est la date même de la victoire .

Cette insurrection qui porte en elle une apparente contradiction apparait d'abord comme l'œuvre personnelle faisant figure énergique , violent , ambitieux : Ferhat Abbas Le principal foyer de la rébellion n'est en effet autre que son fief et les épisodes les plus sauvages se déroulent entre Sétif , siège de son commerce pharmacie et Tahar , où habite sa famille .

Au cours du mois d'Avril , ou ne cesse de voir circuler ferhat Abbas , dans la Commune Mixte

نقلا عن الوثيقة الأصلية (رقم 01)

Archives d'Aix-en-Provence 1 CM 50

Corps des Douaïr

Milice département d'Oran

N° 1869/secret

Rapt mensuel de

Renseignements généraux

du mois de mai 1945

Il est cependant bien certain que les troubles sanglants qui ont eu lieu dans le départ de Constantine prévus pour toute l'Algérie , mais seuls les éléments des régions ou l'influence des nationalistes musulmans est prépondérante (Sétif – Guelma) , sont passés à l'action .

La leçon est sévère , il convient d'en tirer les conséquences qu'elle comporte.

Des évènements analogues à ceux cités plus haut peuvent se produire d'un moment à l'autre et n'importe où il y a lieu de renforcer les mesures de sécurité .

Il importe que la pression soit aussi sévère que rapide .

Oran , le 15 mai 1945

Le lieutenant Colonel Jouve Cdt

La milice départ d'Oran

Signé : Jouve

نقلا عن الوثيقة الأصلية (رقم 02)

1CM55
Le 14 juin 1945

Brigade de Gendarmerie
de Tizi Ouzou

Deux jeunes musulmans de Tizi Ouzou

« Houri Mustefa 14 ans et Termoul Med 13 ans remettraient à la brigade de gendarmerie une enveloppe fermée et affranchie, portant l'adresse : Bureau de gendarmerie à Tizi Ouzou, et contenant une lettre dont ci-dessous la copie /
Les peuples musulmans

« Pendant 125 ans, sous le commandement des français, les musulmans souffraient et souffrent encore dans la misère et comment ont-ils souffert ?

« Vous avez vu des français marchant pieds nus ? Vous avez vu des français mourir de faim ? Non. Et pourtant les musulmans y sont dans ces misères.

« Pourquoi vous, vous êtes libres dans notre maternelle patrie et pourquoi pas nous ? Pourtant nous sommes des hommes comme vous, ayez pitié des musulmans. Qu'est-ce que nous demandons ? au moins l'indépendance ?! »

نقل عن محتوى الوثيقة (رقم 03)

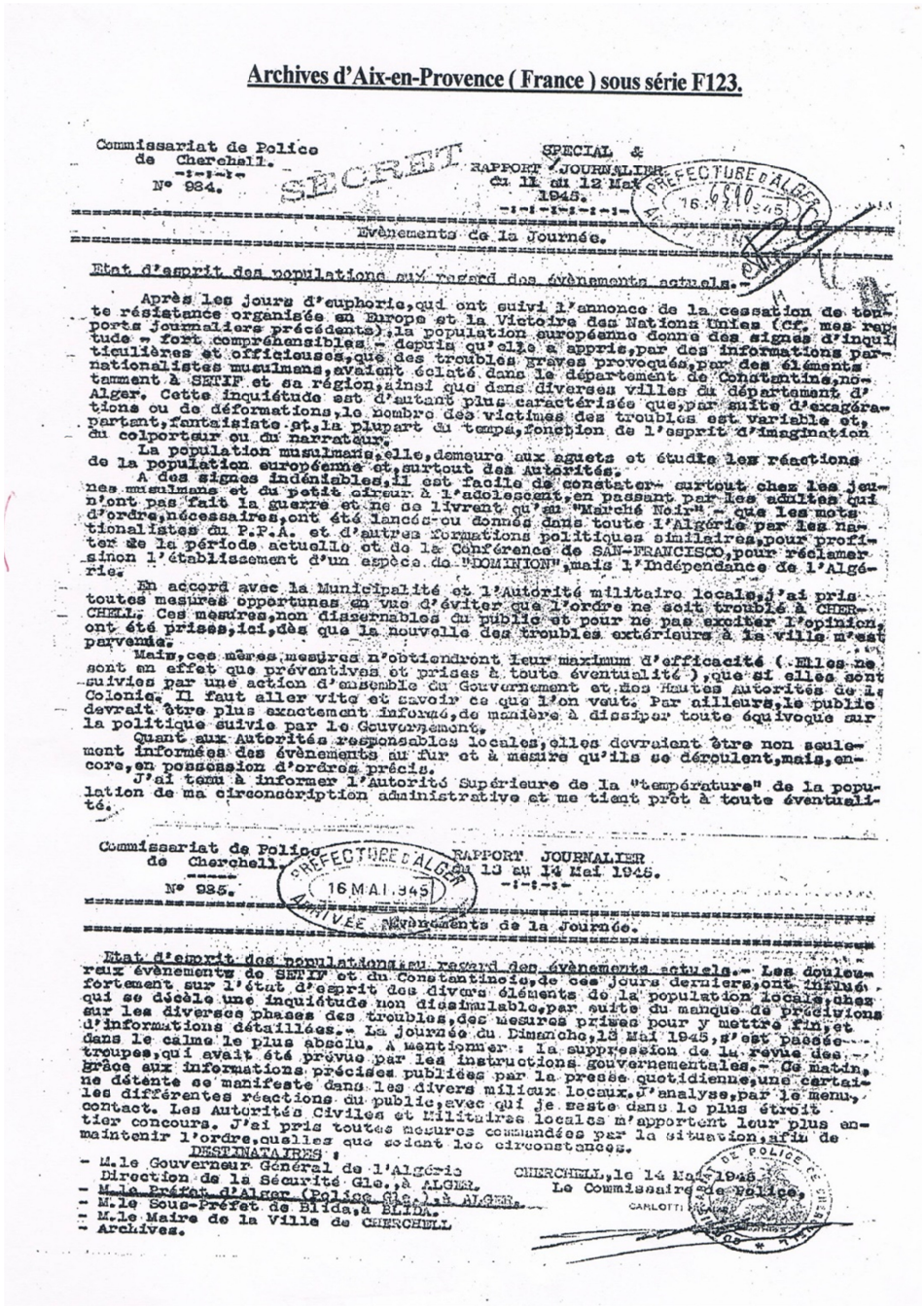

Archives d'Aix-en-Provence (France) sous série F123.

Commissariat de Police
de Cherchell.
-i-i-i-
N° 984.

SECRET

SPECIAL &
RAPPORT JOURNALIER
du 11 au 12 Mai
1945.
-i-i-i-i-i-i-

PREFECTURE D'ALGER
16 MAI 1945
ARRIVÉE

Evènements de la Journée.

Etat d'esprit des populations au regard des évènements actuels.-

Après les jours d'euphorie,qui ont suivi l'annonce de la cessation de toute résistance organisée en Europe et la Victoire des Nations Unies (Cf. mes rapports journaliers précédents),la population européenne donne des signes d'inquiétude " fort compréhensibles - depuis qu'elle a appris,par des informations particulières et officieuses,que des troubles graves provoqués,par des éléments nationalistes musulmans,avaient éclaté dans le département de Constantine,notamment à SETIF et sa région,ainsi que dans diverses villes du département d'Alger. Cette inquiétude est d'autant plus caractérisée que,par suite d'exagérations ou de déformations,le nombre des victimes des troubles est variable et, partant,fantaisiste.et,la plupart du temps,fonction de l'esprit d'imagination du colporteur ou du narrateur.

La population musulmane,elle,demeure aux aguets et étudie les réactions de la population européenne et,surtout des Autorités.

A des signes indéniables,il est facile de constater- surtout chez les jeunes musulmans et du petit aîneur à l'adolescent,en passant par les adultes qui n'ont pas fait la guerre et ne se livrent qu'au "Marché Noir" - que les mots d'ordre,nécessaires,ont été lancés-ou donnés dans toute l'Algérie par les nationalistes du P.P.A. et d'autres formations politiques similaires,pour profiter de la période actuelle et de la Conférence de SAN-FRANCISCO,pour réclamer sinon l'établissement d'un espèce de "DOMINION",mais l'Indépendance de l'Algérie.

En accord avec la Municipalité et l'Autorité militaire locale,j'ai pris toutes mesures opportunes en vue d'éviter que l'ordre ne soit troublé à CHERCHELL. Ces mesures,non dissemables du public et pour ne pas exciter l'opinion, ont été prises,ici,dès que la nouvelle des troubles extérieurs à la ville m'est parvenue.

Mais,ces mêmes mesures n'obtiendront leur maximum d'efficacité (Elles ne sont en effet que préventives et prises à toute éventualité),que si elles sont suivies par une action d'ensemble du Gouvernement et des Hautes Autorités de la Colonie. Il faut aller vite et savoir ce que l'on veut. Par ailleurs,le public devrait être plus exactement informé,de manière à dissiper toute équivoque sur la politique suivie par le Gouvernement.

Quant aux Autorités responsables locales,elles devraient être non seulement informées des évènements au fur et à mesure qu'ils se déroulent,mais,encore,en possession d'ordres précis.

J'ai tenu à informer l'Autorité Supérieure de la "température" de la population de ma circonscription administrative et me tient prêt à toute éventualité.

Commissariat de Police
de Cherchell.

N° 985.

PREFECTURE D'ALGER
16 MAI 1945
ARRIVÉE

RAPPORT JOURNALIER
du 13 au 14 Mai 1945.
-i-i-i-

Evènements de la Journée.

Etat d'esprit des populations au regard des évènements actuels.- Les douloureux évènements de SETIF et du Constantinois,de ces jours derniers,ont influé fortement sur l'état d'esprit des divers éléments de la population locale,chez qui se décèle une inquiétude non dissimulable,par suite du manque de précisions sur les diverses phases des troubles,des mesures prises pour y mettre fin,et d'informations détaillées.- La journée du Dimanche,13 Mai 1945,s'est passée dans le calme le plus absolu. A mentionner : la suppression de la revue des troupes,qui avait été prévue par les instructions gouvernementales.- Ce matin, grâce aux informations précises publiées par la presse quotidienne,une certaine détente se manifeste dans les divers milieux locaux.J'analyse,par le menu, les différentes réactions du public,avec qui je reste dans le plus étroit contact. Les Autorités Civiles et Militaires locales m'apportent leur plus entier concours. J'ai pris toutes mesures commandées par la situation,afin de maintenir l'ordre,quelles que soient les circonstances.

DESTINATAIRES :
- M.le Gouverneur Général de l'Algérie
Direction de la Sécurité Gle.,à ALGER.
- M.le Préfet d'Alger (Police Gle.),à ALGER.
- M.le Sous-Préfet de Blida,à BLIDA.
- M.le Maire de la Ville de CHERCHELL
- Archives.

CHERCHELL,le 14 Mai 1945.
Le Commissaire de Police,
CARLOTTI

وثيقة رقم (04)

Gouvernement général de l'Algérie
Direction de réformes Alger le 29 janvier 1946
Note sur le problème algérien (SECRET)

Les données du problème : le problème algérien va sans doute entrer prochainement dans une phase aiguë. Il se posera même vraisemblablement sur le plan international. Aux yeux de l'étranger, contrairement à ce que nous pensons et voulons.

L'Afrique du Nord forme un bloc et l'on ne dissocie pas l'Algérie de le Tunisie et du Maroc. On est beaucoup plus sensible à la parenté ethnique, à l'identité économique, linguistique et religieuse qu'à la différence de statut politique.

Dans cette Algérie qui, en proie à mille difficultés matérielles et souvent à une véritable misère, attend ou prépare son destin.

La thèse de la personnalité algérienne est sans doute concevable. Le peuple algérien est musulman, la langue arabe doit être reconnue comme langue officielle, l'enseignement, le culte, la justice doivent être assurés et organisés suivant les prescriptions sacrées.

نقلا عن محتوى الوثيقة (رقم 05)

1CM55
le 07 juillet 1945
N°1282/CDP
SECRET

Le Gouverneur Général

A Mr Le Ministre de l'intérieur

L'état d'esprit de la population

L'impression générale est un malaise, une inquiétude au sujet de l'avenir, beaucoup de personnes ont eu peur et continuent à s'inquiéter au sujet d'éminentes possibles de la part des musulmans, la forte majorité des correspondants continue à craindre une révolte et manifeste le désir de quitter l'Algérie par crainte des arabes.

On lit dans de nombreuses interceptions : nous sommes abandonnés, nous en avons assez. On ne veut plus rester ici, je veux mourir en France, aussi les indigènes sont détestés par beaucoup, les uns affichent du dégoût et du mépris pour ceux qu'ils qualifient de race maudite, d'autres proclament une haine solide qui est raciale et religieuse (de très nombreuses interceptions confirment que le fossé s'est creusé entre musulmans et Français et que les méfiances réciproques sont loin d'être dissipées.

« La répression est générale commentée dans un sens favorable. Elle est jugée dure, sérieuse, sévère, mais efficace et l'on considère qu'elle a permis d'arrêter le mouvement dissident ».

نقلا عن محتوى الوثيقة (رقم06)